سوريـون؛ وتـأتي «المقطم» التي كان يمتلكها يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين بكاريوس في الطليعة، حيث افسحت في صدر صفحاتها لكتاب يهود امثال نسيم ملول، رئيس لجنة الاصلاح التنفيذية للنهضة الاسرائيلية في مصر، والذي اصبح مراسلا لـ «المقطم» العام ١٩١٢ بعد انتقاله الى يافا. ولقد دأبت «المقطم» على الترويج للهجرة اليهودية بحجة ان فيها النفع العميم والخير الجم لسكـان فلسطين، وان المخاوف المثارة من جراء الهجرة ليست الا اوهاما باطلة. وفي تلك الفترة، لوحظ تزايد النشاط الصهيوني في مصر، التي كانت خاضعة لبريطانيا، فحظي التحرك الصهيوني، فيها، بحرية مطلقة.

ومـع بداية العام ١٩١٠، وبتأثير حملة «الكرمل»، تزايدت، في اعمدة الصحف، الحملة المضادة للصهيونية واعوانها من سماسرة واقطاعيين. ومن الصحف التي سارت في هذا الخط، ايضـا، خارج فلسـطين، «المقتبس» الدمشقيـة وصحف «المفيـد» و«الحقيقة» و«الرأي العام» الصادرة في بيروت[٢٧]. الا ان «الكرمل» تميزت بقدرة الاطلاع على ما يجري في الكواليس ونقله الى الرأي العام بغية افشال مشاريع صفقات السمسرة لبيع الاراضي، وحذرت، مرارا، من ان يرهن احد اراضيه لدى الشركة الانجلو ـ فلسطينية بالنظر الى انها صهيونية. ونتيجة للحملات التي شنتها الصحيفة، تقدم عدد من النواب العرب بطلب تأكيدات من طلعت بك «بان لا يسمح لليهود بامتلاك اراضي السكان المحليين، وبعدم السماح بهجرة يهودية واسعة»[٢٨].

وفي الجهـة المقابلة، تزايدت الحملات المضادة في الصحافة اليهودية والتركية المأجورة والعربية العميلة، للطعن بـ «الكرمل» وزميلاتها ولاستعداء السلطات التركية عليها. ولقد ساء النصـار موقف اللامبالاة من امته ومن الدولة العثمانية ازاء الخطر الزاحف من سيل الهجرة اليهودية، ومن امتلاك الاراضي العربية المتزايد، فكان له مقال بعنوان «استعمار ام استدرار» هاجم فيه صمت الامة والدولة، الامر الذي اثار صحيفة «النفير» العثمانية التي كان يمولها بنك انجلو ـ فلسـطين على نصـار متهمة اياه بالتفرقة العنصرية والمذهبية؛ ونتيجة لحملة «النفير» المسعورة حوكم نصار قضائيا، فدافع عن نفسه على صفحات «المقتبس» كما دافعت «المقتبس» عنه. وعلقت جريدة «جويش كرونكل» على الحادث متهمة نصار بنفس تهمة «النفير»، مدعية انه يثير العرب ضد اليهود، وذهبت الى ان توقيفه السابق لم يردعه عن ضلاله. واشارت الجريدة الى «ان محاكمة نصار حضرها جمهور غفير من العرب، حملوه، بعد تبرئته، منتصرين له، في تظاهرات عدائية ضد اليهود... وخشية من الهجوم ابرق اليهود الى الحاخام الذي قابل وزير الداخلية، فارسل تعليماته في الحال الى حاكم حيفا لمنع الاضطراب»[٢٩].

لقد تركت حملات نصار وقعا متميزا في الصحافة الوطنية وفي ردود الفعل في الصحافة المعادية: فهذه «المقتبس» تفتح صدرها لكتاب مفتوح من عبدالله مخلص الى مجلس «المبعوثان» يحذر فيه المجلس من العواقب الوخيمة المترتبة على الهجرة اليهودية وعلى بيع الاراضي للمهاجرين، وينذر بان النهاية التي ستحل بعرب فلسطين ستكون مماثلة لما حل بالعرب في الاندلس[٣٠]. وفي الفترة ذاتها، تنشر صحيفة «هاعولام»، الناطقة بلسان الحركة الصهيونية المركزية، تقريرا جاء فيه «ان القوة الاكبر في فلسطين هي قوة العرب... ونحن ننسى، كليا، ان هنالك عربا في فلسطين، ولم نكتشف هذه الحقيقة الا في السنوات الاخيرة فقط... اننا لم نأبه لهم ولم نحاول، قط، ان نقيم صداقات لنا في صفوفهم، ويعتبر المثقفون المسيحيون اكبر اعداء اليهودية في صفوف العرب»[٣١]. وواضح ان نجيب نصار في طليعة الذين عناهم كاتب التقرير.